

حفيظة العبيدي

كيف تبقى آمنًا



رواية قصيرة

www.kotobati.com

كيف تبقى آمنة

(رواية) قصيرة

تأليف: حفيظة العبيدي

إعادة التصميم والتنسيق: مكتبة كتوباتي

www.kotobati.com

حياتنا كانت رتيبة من نواحٍ عدة و كأننا في سلسلة جهنمية لا نستطيع السيطرة عنها ، نعيش اليوم الذي يأتي و ننتظر مستقبلا اجمل تتغير فيه حياتنا العادية و نتخلص من الرتابة اليومية ، نعم هذا ما يحتاجه المرء في هذا العصر ...

فتحت التلفاز لأشاهد اخر الاخبار المحلية و العالمية لست مغرما بالأخبار ابدا و لكن ما يحدث في العالم خطير جدا ، فأنا ربما اصبحت مجبرا على متابعة

الاخبار ، شرعت المذيعه في النشرة الاخبارية معلنة اهم العناوين و كان اول عنوان اخباري " الكورونا تجتاح العالم و الحجر الصحي متواصل " لطفك يا رب هذا ما علقت به انا و ظللت اشاهد بقية النشرة .

لا جديد يذكر سوى فيروس الكورونا المستجد الذي ألزم العالم باكلمه بالبقاء في منازلهم و يكتفي الناس بمتابعة الاخبار على مواقع التواصل الاجتماعي و القنوات التلفزيونية و محطات الراديو لا حديث لديهم غير الكورونا مع هشتاغ "لا تخرج من منزلك فهو امانك" هنا تذكرت شيئاً عندما كنا نبحت عن تكسير الروتين اليومي الان اصبحنا في مشكلة اكبر لا يوجد روتين لا يوجد شئ فقط نريد الامان و هذا همنا الوحيد كيف نتجنب العدوى و كيف نحمي انفسنا.. نسينا تماما الاشياء التي كانت تزعجنا بما أننا لم نشعر بأهمية الايام الماضية و العادية، و اصبحنا نتحسر عليها اليوم في ظل الوضع الراهن ...

استيقضت على صوت امي : <<انهض يا بني إنها الساعة الحادية عشر صباحا >>

فتحت عيني بصعوبة كبيرة لا اسطيع النهوض حتى لقد غفوت في سبات عميق بعد صلاة الفجر لم اشعر بذلك ، نهضت من الفراش و يوم جديد من ايام الحجر الصحي ، اتجهت إلى نافذة غرفتي التي تطل على الشارع ، ازحت السيارة... و اذا بضوء الشمس بدأ بالتسلل للحجرة..لون ذهبي ملأ المكان ، نظرت لشارع كان خاليا مثل القبر يخيم عليه الهدوء التام شعرت بالحزن و الإكتئاب لكن في نفس الوقت شعرت بنوع من الطمأنينة ربما الناس فهموا خطورة الوضع و إتزموا بالبقاء في منازلهم ، فجأة رن هاتفي المحمول فاصابني الفزع عند سماع الرنة فجأة في وسط هذا الصمت الذي كنت فيه و اخرجت الهاتف من جيبي انه صديقي المشاكس و المنقذ في حالات الأكتئاب رددت عليه :

+الو مرحبا بالمشاكس الحمدلله انك اتصلت بي

_اهلا صديقي كيف حالك

+الحمدلله يا اخي على كل حال والله انني اشتقت لترشف فنجان من القهوة معك ..

- و انا ايضا يا اخي لكن ما عسانا ان نفعل سوى انتظار الفرج من الله و هل تصدق انني اصبحت اشتاق للعمل الذي كنت اكرهه

+ ليرحمنا الله يا صديقي ...

دام الحوار بيننا نصف ساعة تحدثنا خلالها ما صرنا نعانيه من الحجر الصحي و شعرنا بالحنين لايام العمل و النهوض باكرا كل يوم ، اصبحنا نشتاق إلى ايامنا العادية التي كنا لا نريدها ، كنا نملك السعادة لكن لم نشعر بها، اشتقنا إلى رؤية المساجد مفتوحة و سماع صوت الاذان ، اشتقنا لاسواقنا الاسبوعية اشتقنا إلى اشياء بسيطة كنا نجهلها اشتقنا إلى مشاهدة مباريات كرة القدم و لو في الدوري الاثيوبي فقط اصبحنا نشتاق لكل شئ كنا نجهل قيمته .. فتحت حسابي على الفيسبوك كانت اغلب المنشورات الفيسبوكية على فيروس الكورونا هذا النيزك الصغير الذي حير العالم و العلماء و اصبح حديث الساعة و كانها حرب باردة بل إنها حرب فعلا يواجهها الجيش الابيض بكل قوة لتصدي هذا الوباء القاتل

..

العالم بأكمله أصبح خائفا مما يحدث، اموات تسقط كل يوم بآلاف في إيطاليا و إسبانيا و فرنسا و كثيرة هي المخاوف من إنتقال عدوى فيروس كورونا، لا شئ نستطيع فعله سوى البقاء في البيت و التزام بالحجر الصحي لضمان سلامتنا ، نعم الهدف الوحيد لكل إنسان اليوم كيف تبقى آمنا بل اصبح تحدي البشرية فكل منا يريد العيش و الكل يريد روجوع حياتنا العادية ..كنت شارد الذهن طوال اليوم حينها كان ابي يناديني و فجأة انتبهت لصوته ثم قلت: >> انا اسف يا ابي لقد كنت شاردا قليلا<<

>> و فيما كنت شاردا يا بني؟<<

>>لقد كنت افكر في وضع البلاد و وضعنا بالتحديد <<

>>لا تفكر كثيرا يا بني عليك فعل شئ واحد فقط <<

>>و ما هو هذا الشئ؟<<

>>الدعاء يفرج الكربات دعاء الله تعالى له شأن عظيم في رفع البلاء و تفريج الكربات <<

>>و هذا ما سأفعله ، جزاك الله خيرا ابي العزيز <<

>>خيرا جزاك بني هيا معي امك و اخوتك ينتظروننا على مائدة الطعام <<

جلسنا جميعا على مائدة العشاء ونحن نردد كالعادة ما قاله والدي "بسم الله الرحمن الرحيم" ثم شرعنا في الأكل ..

وبعدما انهينا من الطعام صلينا صلاة العشاء و دعوت الله و رجوته كثيرا بان يرفع عنا هذا البلاء ، و اخيرا حان وقت النوم حان وقت النسيان المؤقت ، يا عقلي فلنأخذ قسطا من الراحة كفى تفكيرا بالنسبة لليوم ، خلدت لنوم مباشرة.. عند الفجر استيقضت مدعورا من كابوس مخيف و مرعب ، كان العرق يتصبب من جيبيني اسعدت بالله من الشيطان الرجيم ثم اخذت نفسا عميق ، لقد كنت غارقا في النوم و لم انتبه لصوت المبهن الذي كان يرن منذ خمس دقائق لانني اعتدت ان انهض على صوت المؤذن اه كم اتمنى ان تعود تلك الايام نهضت من فراشي لأداء صلاة الفجر ، اديت فريضتي و قرأت وردى من المصحف و حينما انهيت وفقت بجانب النافذة ازحت الستارة هدوء تام يغط على الشارع و عدت لتفكير في قدرنا الذي لا مناض منه ها قد اصابتني لعنة التفكير من جديد ها قد عدت مجددا إلى خوفا و قلقي يجب ان افعل شئ و الا ساصيب بالجنون ، ان اقرا كتاب يفيدني مثلا نعم هذا ما سافعله ، اخترت كتاب من احدى الكتب الموجودة على الرف في مكتبي و كان عنوانه "رحلة يوسي الحجازية" احب هذا النوع من الكتب شرعت مباشرة قي قرائته...

تمر الايام و كنت اقضي اغلب ساعات يومي في قراءة الكتاب كنت مشغولا اكثر من اللازم مع عقلي و التسؤلات تحيط بي ، اشرب كوبا من الشاي مع تدخين السجائر ، اتابع الاخبار كالعادة و اتطلع إلى إنتهاء اليوم ، ازداد الخطر و اصحنا الجميع في حالة هلع و بدأ الفيروس بالانتشار في كامل مدن البلاد و عدد الضحايا في إرتفاع كبير ، ارتفعت حرارتي بعد سماع هذه الاخبار، فاغلقت التلفاز و ذهبت إلى الثلاجة لتناول مشروبا باردا عله ينسني هذه الاخبار ، لكن حالة غريبة تتناوبني اشعر و كأن الدنيا اصبحت ضيقة و الحياة باهتة كانها مريضة او هي أيضا قد اصيبت بتلك الفيروس اللعين و انا اصبحت افقد شاهيتي في الكثير من الاشياء و اغرق في بحر الاوهام حتى النور الذي كان يتسرب من نافذة غرفتي اتجنبه و اختار الظلام ، عاودني الإكتئاب و الشكوك و المخاوف ملأت عقلي ، العالم على حافة الموت و البشرية مهددة بالإنقراض ،إقتصاد البلاد يعيش تراجع ملحوظ ، مرت ليال كثيرة دون نوم برغم من الحبوب المنوم التي اتناولها، و تكررت الاحلام المرعبة و المخيفة اما في النهار فقد كنت نصف مخدرا ، افكار مخيفة اجتاحت راسي انهوس بها ، اصبحت اخمن كثيرا و من جملة التخمينات التي خمنتها المصير الذي الت إليه البلاد ، المصير الذي لم يعد بوسعي إلا ان افكر فيه فانا جزء من هذا البلد ...

مضى شهر كامل و لازال الحجر متواصل و انا على نفس الحالة اصبحت افضل هذه العزلة التي اجبرت بها لا افعل شئ سوى النوم و الاكل و متابعة الاخبار و تدخين السجائر و احداث اصدقائي احيانا عبر الهاتف او عبر النت نتشكي لبعضنا همومنا التي باتت مشتركة .. الايام تجري بسرعة و ها هو اليوم الموافق ل ٢ ابريل ٢٠٢٠ ، كنت جالسا كالعادة اتابع الاخبار و ادخن سيجارة ، سمعت والدتي تناديني لتناول الغذاء ، يبدو صوتها بعيدا لا بد انها تناديني وهي واقفة في المطبخ .. لا اعرف إن كان غذاء هذا ام عشاء فالساعة قاربت الرابعة مساءً، خطوت متثاقلا نحو المطبخ >>_امي هل كنت تناديني؟<<

>>+ نعم يا بني <<

>>_هل حضر الغذاء؟<<

>>+اي غذاء ! في هذا الوقت فالشمس اشرفت على المغيب ، الم تقل لي انك لا تريد عندما ناديتك على الغذاء <<

>>_نعم، اجل لقد نسيت<<

اندهشت حينما قالت لي امي انها نادتني على الغذاء و انا قلت لها لا اريد لكنني تظاهرت بالنسيان وقد تذكرت و لكن في الحقيقة انا لم اتذكر شيئا مما قالته امي او مما قلته انا ، كيف حصل ذلك ، يبدو انني اصبت بتشتت في التركيز بسبب التفكير الزائد و الشرود الذهني ..

قالت لي والدتي: <<يا بني عائلة جارنا محمود اصبحوا بدون مؤونة و يجب علينا ان نساعدهم بقدر المسطناع ، خذ هذا الكيس إلى عمك محمود و بلغهم سلامي >>
<<حسنا امي >>

<<احرص على نفسك جيدا يا بني و ضع الكمامة الطبية على وجهك و عد بسرعة فالوضع لا يطمئن في الخارج>>
الوضع لا يطمئن هذا ما قالته و بالفعل الوضع اصبح لا يطمئن و ما تمر به عائلة العم محمود تمر به الكثير من العائلات ستموت الناس جوعا إن استمر هذا الحجر .

وضعت الكمامة الطبية على وجهي و اخذت الكيس الذي كان مليئا بالحنطة و الخضروات ، خرجت مباشرة و هاته اول مرة اخرج فيها منذ بداية الحجر الصحي سكون تام في ارجاء المدينة ، وصلت إلى بيت العم محمود طرقت الباب بحجارة صغيرة كانت امام المنزل ، نعم لا بد من تجنب اي شئ يؤدي للعدوة ، فتح الباب
<<السلام عليكم عمي كيف حالك >>

<<و عليكم السلام و رحمة الله و بركاته ، الحمدلله يا بني ، كيف حالكم انتم >>

<<الحمدلله يا عمي ما دمنا تنفس >>

<<و نعمة بالله ، سيكون الفرج على الابواب إن شاءالله >>

<<اللهم امين ، تفضل يا عمي هذا الكيس لتعاون على هذه المحنة سويا>>

<<بارك الله فيك يا بني شكرا لك >>

<<العفو يا عمي هذا من فضل الله تعالى >>

عدت للبيت بعد الحوار القصير الذي دار بيني و بين العم محمود و خلال حديثي معه شعرت بمدى تاثره لوضعه اصبح مكتوف الايدي و عائلته دون مؤونة لانه توقف عن عمله خلال الحجر الصحي فهو كان يعمل في خياطة الاحذية في الاسواق الاسبوعية ، امر محزن جدا فالكثير من العائلات اصبحت تستغيث جوعا في هاته الفترة الحرجة و الوضع يسوء يوما بعد يوم ، صارت روحي خواء من كثرة التفكير ،فكرت ان اشرب سيجارة عليها تنسيني حالي ، جلست على الاريقة التي بغرفة المعيشه واخرجت علبة السجائر و النقطت واحدة منها و اشعلتها بقداحتي ، ثم اخذت نفسا عميقا منها و نفثت الابخرة من فمي و كانه صادر من ماء يغلي داخل إناء رثتي ، فتحت راديو الهاتف لأستمع إلى بعض الموسيقى الهادئة كي تساعدني على تصفية ذهني و افكاري ..

سمعت بعض الشوشرة التي تبدو كمحطة جديدة تفتح ، إنها إذاعة وطنية يتحدثون فيها عن فيروس الكورونا سيصل ذروته خلال الايام القادمة و انباء عن سقوط عدد كبير من الوفيات، اغلقت الراديو من شدة الهلع و تعالت دقات قلبي وجدت نفسي اتخيل مشاهد مخيفة هلكت عقلي ، دخلت غرفتي و اغلقت الباب ، بقيت على حافة السرير ادخن بقية السيجارة في الظلام الحالك و كانني بذلك اريد الهروب من واقعي المخيف ، فقط اريد الامان لقد تشوه فكري و الشعور بالموت يلازمي في كل ثانية... اوشكنا على دخول شهر رمضان لا اريد ان اتخيل كيف سيكون الشهر المعظم بدون صلاة تراويح ، كان كل يوم يمضي ياخذ من عمري لحظات ، لا اشعر نفسي اني انا انام و استيقض مذعورا من كوابيس مرعبة ، تلك الفيروس الاخضر اللعين ياتي كل ليلة ليقتلني لكني انجو منه بصعوبة اصبحت سجين غرفتي لا اريد التحدث لاي احد ، تعكرت حالي و اصبت بمرض الوهم ساودع الحياة قريبا فلم تعد لي القوة الكافية لمواجهة الوباء الذي لا يرحم

و عند هذا المشهد الاليم استيقضت يفتة ، فتحتت عيني على ظلام الغرفة الدامس ، ادركت من فوري انني كنت احلم و ان الحلم إستغرق وقتا طويلا كما يجدر بفيلم و جدت نفسي في واقع مغاير لحلمي انا لم امت انا على على قيد الحياة و لم اصيب بالمرض ، نهضت من الفراش و رحمت اصلي صلاة الفجر ، يوم جديد ، فتحت راديو الهاتف لم البث حتى سمعت المذيعه تقول: بعد ان توصلت البلاد إلى حل جذري بالقضاء على وباء الكورونا و بعد قرار رفع الحجر الصحي كبقية بلدان العالم ستعود الحياة لعادتها بداية من اليوم " لا اصدق ما سمعته اذناي ، فتحت النت لتأكد من صحة الخبر و جدت منشورات الفرح و البهجة تملأ العالم ، لقد زال الخطر ، لقد زال الخوف انقرض فيروس كورونا و ستفتح المساجد و تعود اسواقنا و تعود حياتنا العادية

#النهاية..